فوائد لغوية

Notes Lexicographiques.

حول نقد محمود الملاح لصناعة الانشاء

الى علامتنا ومرشدنا الاب انستاس ماري الكرملي الجليل .

كنت قد اخبرتكم أن محمود الملاح قد لبس عليكم الحق بالباطل في اقتناعكم بان « استقرى » بمعنى « تتبع وتأثر » مهموز الاخر لاعتله . وذلك في نقده « صناعة الانشاء » الذي الفه عز الدين علم الدين في ص ٦٣٠ من المجلد الخامس من مجلتكم « لغة العرب » اذ قال « قوله : استقرى بالنقص بمعنى استقرأ المهموز ذهابا منه الى ان الهمزة في الاستقراء منقلبة عن حرف علة كالاستخذاء مثلا » اه . وقد ذكرتموه خطأ الفطيع وانا جليسكم فتقصى بانه اعتمد في ذلك على المنجد ، فقلتم له « أهل المنجد يستمد من يقد كتب الناس في لغة العرب الحريصة على العربية والحقيقة حرص الوالد على حبيبه؟ » ولعل ما ذكرت مضمون قولكم لانه بحروفه :

واني انعمت النظر في النقد الآنف ذكره فوجدت امارات الزيغ والشطط بادية عليه . لذلك قدمت اليكم نظراتي هذه لان ازيكم خدمة العلم والحقيقة :

١ــ ان ادعاءه ان « استقرى » يجب همزه غلط شنيع جهل به غيره مع انه جاهل صوابه . واضاف الى ذلك انه ارتكب الخطأ بعينه في ص ٦٣٣ بقوله « وما ادري كيف استقرأ احوال الخلفاء » فالصواب « كيف استقرى احوال الخلفاء » اي تتبعها اما قولهم « استقرأ الجمل الناقة اي تاركها » فلا يدل على ذلك فالهمزة في الاستقراء اذن منقلبة عن حرف علة على رغم جهل هذا الناقد .

٢ــ وقال في ص ٦٣٧ « مع اننا نعلق على معرفة المصادر اهمية كبرى » فساقه وهمه الى جعل اسم التفضيل « كبرى » موافقا للموصوف في التأنيث والتذكير مع اننا نمرس التلاميذ الاحداث في المدارس الابتدائية انه يجب ذلك اذا دخلت عليه « أل » مثل « الاهمية الكبرى » ويجوز اذا أضيف الى معرفة

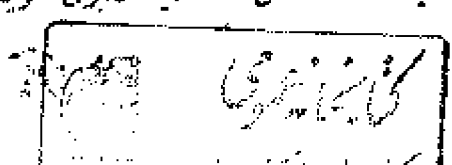

مثل «معرفة المصادر هي في الفوائد كبراهن» أو «معرفة المصادر من كبرى الفوائد» فالفصيح «أهمية كبيرة».

٣ــ قال ــ ج ص ٤٩٧ «ومتى وجدنا مواقده خامدة فيها فلننفض ايدينا من نجاحها نفض الآمل من تراب الميت» فالخطأ هو نفضه يديه من النجاح مريدا «يأسه من النجاح» لان الذي ينفض يديه من النجاح يدعو الى الشك في سلامة عقله. وإلا فكيف ينفض يديه من مراده العزيز وهو الذي قاسى ما قاسى حتى ادركه فامسكه؟ فقوله خطأ من حيث الحقيقة مقصودة ومن حيث المجاز مراد فالصواب «فلنقنط من النجاح».

٤ــ وقال ــ ج ص ٤٩٩ «ومن نقصان التربية مناصبة ارباب النقد التربية العداء» والصواب «ومن نقصان التربية» لان المراد مصدر الفعل اللازم أي «النقصان» لا مصدر المتعدي اي «النقص». قال في مختار الصحاح «النقص مصدر المتعدي والنقصان مصدر اللازم». وقال المبرد ــ ج كامله ج ٢ ص ١٩١ : وكذلك يصغر ــ ج آخر الشهر لان النقصان فيهما واحد فاستعمل مصدر الفعل اللازم أي «نقص الشهر». وقال في المختار ــ ج ل ي ن «ويقال ألانه ايضا على النقصان والتمام» فاستعمل المصدر اللازم وقابله بالتمام المصدر اللازم وقال في القاموس «وليل تمامي اطول ليالي الشتاء او هي ثلاث لا يستبان نقصانها» فهذه ادلة كافية لدعم ما ذكرنا من الاصلاح.

وقال فيها: «ان الانتقاد اذا توفرت شروطه كان خدمة جلى تستحق مناصرة العقلاء». ففي قوله: «خدمة جلى» تكرار للخطأ الذي ذكرناه في المادة الثانية والذي لا يخفى صوابه على تلاميذ المدارس الابتدائية لانه من دروسهم فالصواب «الخدمة الجلى» مثل «الخدمة العظمى» قال عمران بن حطان يخاطب روح بن زنباع:

حتى اردت بي العظمى فأدركني ما ادرك الناس من خوف ابن مروان

او «خدمة جلى الخدم» بالاضافة الى معرفة.

٥ــ وقال في ص ٦٢٨ حول قول المؤلف لصناعة الانشاء «بدا له طريقان فسلك اشدهما ظلمة وترك اوضحهما نورا» مانصه: «وهنا اشكال وهو انه

هل يجوز ان يقال : زيد اسخى من عمرو وعمرو ابخل من زيد » نقاس قول المؤلف على قوله وذلك قياس باطل يدل على تكلف قائسه العريض لان قوله «زيد اسخى من عمرو » واتباعه قوله « وعمرو ابخل من زيد» متضادان متناقضان اما قول المؤلف « اشدهما ظلمة واوضحهما نورا » فلا تناقض فيه لان للنور درجات وللظلام دركات فأشدهما ظلمة هو « اقلهما نورا »واوضحهما نورا هو « اقلهما ظلمة » . فلو قال قائل « بدا لمرجلان فتبع اشدهما ظلمة وترك اوضحهما نورا» لما اعترض على قوله «مترض» فلو جعلنا قوة النور «٢٠» جزءا وكان مع زيد «١٦» جزءا لاحتاج الى «٤» اجزاء حتى يتم نورا» فقوة الظلام معه اذن «٤» اجزاء لان ضد الضوء هو الظلام . ولو جعلنا لعمرو «١٨» جزءا من الضوء لاحتاج الى جزءين فقوة الظلام معه «٢» فزيد اذن اشد من عمرو ظلاما وعمرو اوضح من زيد نورا وكلاهما مشترك في النور والظلام . وانك لو اوقدت « شمعة » قرب جدار ثم اوقدت مصباحا اشد نورا منها ووضعته قبالتها وابعد منها عن الجدار لرأيت خيال ضوء الشمعة على الجدار وهكذا ترى لو استبدلت بالشمعة المصباح وعوضت من المصباح اشد منه اي ترى خيال ضوء المصباح على الجدار . فالشمعة اقل نورا واشد ظلمة . والمصباح اشد منها نورا واقل ظلاما .

٦ — وقال في ص ٦٢٩ « ولم يشعر بان المفلد بالفتح كان مخطئا لان الاسف انما يتعدى بعلى الى الامر المحبوب الذي جرى عليه امر مكروه اما الامر المكروه فينبغي ان يقرن باللام فتأمل » قلت : ياويلتا ماذا يتأمل القارئ فأي دليل ضرب؟ واي تمثيل مثل ؟ وكيف يطلق القول بلا دليل فقوله « اما الامر المكروه فينبغي ان يقرن باللام » خطأ واضح لان المأسوف له محبوب لا مكروه تقول «أسفت لمحمد على ما فاته » فمحمد غير مكروه فمن اين جاءنا العلامة المتبقر بدليله !!! فاللام توضع في موضع «من اجل» قال «عمر بن ذر» حينما وارى ابنه في القبر «يا ذر انه قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك لانا لا ندري ما قلت ولا ما قيل لك(١)...» والاسف اشد الحزن وفعلاهما متساويان في « على » واللام فكيف يكون « ذر »

(١) الكامل للمبرد « ج ١ ص ٨٠ » .

مكروها عنـد ابيه وهو حزين من اجله مشغول عن الحزن على فقدانه ؟ فماذا تقول لو علمت ان الناقد درس المعلمين في دار المعلمين ؟

٧ ـ وقال في الصفحة بعينها ناقلا عن المؤلف: « قال الفضل بن سهل المأمون وهو بدمشق مشرف على غوطتها » وقال من علمه الزاخر « والصواب مشرفا » قلت انه لم يذكر سبب الاصلاح وذلك دينه ولا قيمة لاصلاح بلا دليل والظاهر انه نصب « مشرفا » على الحـالية وليس بشيء . نقول: المؤلف كقول ابي العباس المبرد « وجعل لرجل الف درهم على ان يسأل عمرو بن العاص عن امه ولم تكن في موضع مرضي فاتاه الرجل » وهو بمصر امير عليها فقال .. » (١) ولم يقل « اميرا عليها » فمشرف في قوله « وهو بدمشق مشرف على غوطتها » خبر ثان كما ان « اميرا » في قول المبرد خبر ثان فالتقدير « وهو مستقر بدمشق مشرف على غوطتها » و « وهو مستقر بمصر امير عليها » فتعسا للجهل .

٨ ـ وقال فيها « باقراد اسم الموصول » والصواب « باقراد للاسم الموصول » فما قولك في من يعرف الصفة وينكر الموصوف ؟ واي بكاء تبكي على العربية اذا قلت لك انه قال « وان خامرك الشك فالصق ركابك بركابي في هـذه الجملة المباركة التي يراد بها إعلاء كلمة الادب وانقاذه من براثن التصنع » افهذه جملة مباركة ام تلك التي ضاع رجالها فهب مكانهم اغناب الادباء وفتنة العربية ؟

٩ ـ وقال في ص ٦٢٣ « ومثل هذه الدقائق مما لا ينبغي ان يغفل عنها او يجهلها معلمو الانشاء » ففي قوله غلطان اولهما تقديم الفعل ينبغي فصار التقدير « لا ينبغي الغفول عنها » وهو اضعف من قولهم « ينبغي ان لا يغفل عنه » اي « ينبغي عدم الغفول عنه » لان التعبير المنقود يحتمل غير الانبغاء كأن يقال « لا ينبغي الغفول عنها بل يفرض » اما التعبير الثاني فلا سبيل في الواحد المتضدة . والغلط الثاني تقديم احد الشيئين لوضع « او » والمراد « تقديمها كليهما فالصواب « ينبغي ان لا يغفل عنها ولا يجهلها معلمو الانشاء » فتأمل رعاك الله هذا التجميع الفذ .

١٠ ـ وقال في ص ٦٧٠ « لان مذهبي التسامح في لغة تدوين الفنون بالنظر الى وضع اللغة الراهن في مدارسنا » فاستعمل « بالنظر الى » التعليل ولا يستعملها

(١) الكامل « ج ٢ ص ٣٠ .

إلاجهلة الكتاب البعيدين عن العربية فالصواب « من اجل وضع اللغة الراهن في مدارسنا » او « لاستطاط موضع اللغة الراهن » وهو القائل ايضا « وهو تصحيح إذ بان نظرا الى حذف النون » (١) فالخطأ عشيرة وسميرة والصواب « لحذف النون » لان النظر لا يفيد التعليل ولا يجوز ان يكون مفعولا لاجله لكونه مصدرا غير قلبي . يقال « لفت جيدي النظر اليك » لا « نظرا اليك » وشتان ما التعليل والنظر .

١١ ــ وقال فيها « ان المؤلف مع تهجسه في مسالك التعبير واعتياده الديب الخفي ... » وقد اراد بالتهجس « التخوف والتردد » وفي القاموس ما نصه « وخيز متهجس قطير لم يختمر عجينه » فما المعنى من « ان المؤلف مع عدم الاختمار في نفسه في مسالك التعبير » ؟ ولعله يريد ان يتبع لغة العامة فانهم يقولون « فلان يتهجس في مشيه » اي « يتخوف ويتردد » فوا اسفا على لغة العرب ومدخر مجدهم العظيم !

١٢ ــ وقال فيها عائبا على عز الدين كتابه « حتى جاء كتابه ناشزا على الفصاحة التي هي من اخص مزايا لغتنا » قلت « وكيف علمت ذلك ومن علمك ؟ ومن اجاز لك ان تقول هذا القول وانت بعيد عن الفصاحة ولغة العرب كلها ؟ فانظر الى قولك « اخص مزايا لغتنا » فالمزايا مضاف اليه ولغة مضاف اليه و « نا » مضاف اليه . وان المبتدئين بدرس البلاغة العربية لا يتابعون الاضافات هذه المتابعة ولا يغلطون هذا الغلط المستقبح . ألم تدرس ان العلماء عابوا على الشاعر قوله « حملة جرعى حومة الجندل اسجعي » لتتابع الاضافات فما لكم يرى احدكم القذاة في عين غيره فيستقذره ولا يرى ما هو اشد منها في عينه .

١٣ ــ وقال في ص٢٧١ « ومادتا الغوص والغطس فاشيتان » فقوله « مادتا الغوص » يدل على ان الغوص مادتين مع انه اراد نسبة مادة واحدة اليه . اما عطفه بقوله « والغطس » فهو يشرك « الغطس » في المادتين ايضا فهذا خطأ ثان . وانك لو قلت « بستانا محمد وخالد » لفهم ان لمحمد بستانين شاركه فيهما خالد . فالتركيبان متساويان وما هو إلا جد مخطىء . وان الذي ارتكب هذا الغلط ظن انه مختصر لفظ متم للمعنى واستوعر ان يقال « مادة الغوص ومادة

(١) جريدة العراق « ٢٦٤٦ » حينما نقد عالما مصريا تقريرا .

القطن » ومن القدامى الراكبين هذا الشطط « احمد بن محمد » الفيومي مؤلف المصباح المنير فانه يقول « من بابي كذا وكذا » مريدا « من باب كذا وكذا ». ومن ذلك قوله في ر ب ع « وفيه لغة من بابي قتل وضرب » مع انه لو فكر في ما نقله عن العلماء في المادة الآنفة بعينها لوجد نفسه مخطئا فيها « وقال الازهري ايضا : والعرب تذكر الشهور كلها مجردة من لفظ شهر إلا شهري ربيع ورمضان » فقوله « شهري ربيع ورمضان » يدل عند احمد الفيومي على شهرين فقط لان تركيب كتركيب « بابي قتل وضرب » وذلك خطأ ظاهر لانه اراد ثلاثة اشهر « شهر ربيع الاول وربيع الثاني ورمضان » فهذا من تراكيب الخطاط العربية .

١٤ــ وقال فيها « ولكن عسى ان يكون لمز الدين رأي لم نطلع عليه » فقوله « ان يكون » يدل على ان الرأي سيكون في المستقبل لدلالة « أن والمضارع » على ذلك . غير انه وصف ذلك الرأي المتوقع بقوله « لم نطلع عليه » فنفى الاطلاع في الماضي . وانك واقف تعجب ممن يقول لك « سيكون رأي في الدنيا ما اطلعت عليه أنت » اذ كيف تطلع على رأي لم يخلق ثم تصفه بجملة نافية للاطلاع ؟ هذا هو التهاون بالعربية قلت ذلك لان « لم » اذا دخلت على المضارع جعلت زمنه الماضي لا غير فالصواب « وربما كان لمز الدين رأي لم نطلع عليه » ليستقيم المبنى والمعنى .

١٥ــ وحول قول المؤلف « أن » تنفي الماضي مطلقا و« لما » لنفيه ممتدا الى ما بعد زمن التكلم و « لن » لنفي الاستقبال » قال اللاح في ص ٧٢ « نعم ولكن ما بالك اضاف الى هذه العبارة ... » مريدا التصديق مع ان « اجل » تفضل على « نعم » في التصديق كثيرا فلماذا تركها هذا الذي قال « يا سماء اسقطي كسفا » لانه رأى غلطة المؤلف في كتاب صناعة الانشاء ؟

١٦ــ وقال غير ما ذكرنا فتركناه تفاديا من التطويل واقتصارا على هذه الفوائد المنبهة المؤدبة فرحم الله امرأ عرف قدر نفسه فصانها عن التورط والجهل والغش والمكابرة وعودها تقبل الحق والاذعان لامره . وفقنا الله لخدمة العربية خدمة خالصة انه ولي التوفيق .

مصطفى جواد